

التأثيرات المعمارية والزخرفية الحمادية على عمائر حوض البحر الأبيض المتوسط

The architectural and decorative influences of all hamidiyah on the buildings of the mediterranean basin

مخير التراث الأثري وتثمينه. جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان-	آثار إسلامية	بوشعيب سميحة - طالبة دكتوراه Samiha.bouchaib@univ-tlemcen.dz
DOI :		

الإرسال: 2025/10/12 القبول: 2025/11/11 النشر: 2025/12/20

ملخص:

تعد الدولة الحمادية من بين الدويلات التي استقرت بالمغرب الأوسط في منتصف القرن 4هـ/11م. تأسست على يد حماد بن بلكين الذي شيد مدينة القلعة وجعلها عاصمة لدولته فتسمت باسمه وبعد الصراعات مع الفاطميين اتخذوا من مدينة بجاية عاصمة لهم. لا تزال هذه الدولة شاهدة على براعة المعمار الحمادي في البناء والزخرفة ومما لاشك فيه أن مدينة القلعة بما أنها العاصمة الأولى للحماديين وشيدت في مرحلة قوة الدولة فإنها حظيت باهتمام كبير من الناحية المعمارية والفنية وبالرغم من قلة الدراسات والبحث الأثري خاصة وإن الكثير من معالم مدينة القلعة لازالت تحت الأنقاض إلا أن المعالم المعمارية البارزة منها تشهد لهم بالتجديد والابتكار فقد أدو دورا حضاريا كبيرا في تاريخ الجزائر بحيث تأثرت القلعة بعمارة بعض المدن بالمشرق والمغرب وأثرت بدورها في مدن المغرب والأندلس. سنقوم في هذه الدراسة بالتطرق الى الدراسات التي أجريت بمدينة القلعة ووصفها وذكر أهم الابتكارات المعمارية والفنية لهذه الدولة وتأثيرها على عمائر حوض البحر المتوسط

كلمات مفتاحية: التأثيرات؛ العمارة؛ الزخرفة؛ الدولة الحمادية؛ حوض البحر المتوسط.

Abstract:

The hamidid state is one of the principalities that settled in the central Maghreb in the mid-4th century AH/11th century CE. It was founded by hamad ibn buluggin who built the city of Qal'ah and made it the capital of his state naming it after himself after conflicts with the fatimids they made the city of Béjaia their capital and the traces of this state still bear witness to the architectural and decorative prowess of Hamidid construction. Undoubtedly as the first capital of the Hamidids and built during the peak of the state's power, Qal'ah received significant attention in terms of architecture and artistry. Despite the scarcity of studies and archeological research, especially since many landmarks of Qal'ah remains under ruins prominent architectural features attest to their innovation and creativity they played a significant civilizational role in Algerian history with Qal'ah being influenced by

Maghreb Journal of Historical and Social Studies - Sidi Bel-Abbes University

ISSN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X

Volume 17 -- Issue 02 -- December 2025

البريد الإلكتروني: Samiha.bouchaib@univ-tlemcen.dz

المؤلف المراسل: بوشعيب سميحة

some cities in the east and west in turn influencing cities in the Maghreb and Andalusia in this study we will delve into the studies conducted in Qal'ah describe the city itself and finally mention the most important architectural and artistic

Keywords : influences;architecture; Al-Hamidiyah state;buildings of the me mediterranean basin.

مقدمة:

عرف المغرب الأوسط في منتصف القرن الرابع هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي ظهور دولة قوية، ذاع صيتها بأرجاء المغرب الإسلامي عامة ألى وهي الدولة الحمادية، بزعامة حماد بن بلكين، الذي اتخذ موقعا حصينا بالقرب من مدينة المسيلة ببلدية المعاضيد ليبتني عاصمة لدولته سنة 1007م سماها القلعة، وعرفت فيما بعد بقلعة ابن الطويل، وازدهرت ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا.

إن علاقات الحماديين مع بلدان المشرق والمغرب، والامتزاج بين القبائل، ساهم في بناء مدينة القلعة بشكل كبير، حيث تأثرت عمائرها بعمائر المشرق والمغرب وأثرت بذلك في عمائر المغرب والأندلس. تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المعمار الحمادي في ابتكار نمط معماري وزخرفي مميز، يهتدى به في تشييد العمائر عبر سائر بلدان المغرب الاسلامي. فكيف كانت العمارة الحمادية بمدينة القلعة؟ وفيما تجلت الابتكارات والتأثيرات المعمارية والزخرفية للقلعة على عمائر حوض البحر المتوسط ؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا منهجية عمل قسمت إلى أربع عناوين رئيسية مستهلها نبذة جغرافية وتاريخية لقلعة بني حماد، يليها الأبحاث الأثرية التي أجريت بقلعة بني حماد، ثم أهم المنشآت المعمارية بالقلعة وفي الأخير التأثيرات المعمارية والزخرفية الحمادية على عمائر حوض البحر المتوسط وخاتمة.

1- الموقع الجغرافي والتاريخي لقلعة بني حماد:

تقع قلعة بني حماد فلكيا على خط طول 45° و 50° شرقا، وخط عرض 35° و 50° شمالا (la Qalaa des beni hammad, rapport de mission polono Algerienne 1987-1988, p05, 1990)

88

الخريطة 01: الحدود الجغرافية لقلعة بني حماد عن: google –بتصرف-

لموقع القلعة امتداد تاريخي رشحه حماد لكي يكون حاضرة لملكه المنتظر، فحسب الروايات، فإن موقع القلعة كان محتلا من قبل الرومان، ومن المعتقد أن تكون قلعة رومانية لوجود عدة حصون بالموقع قبل إنشاء قلعة بني حماد (بوروية، مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، أشيروقلعة بني حماد، 2013، ص89)، كانت حصنا حربيا يصلح لحماية الدولة وقام ببناء القلعة وتسويرها مملوك نصراني يقال له بونياش (بوروية، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، 1977، ص203). جلب حماد من مدينتي المسيلة وسوق حمزة ما يحتاجه من الصناعات والبنائين والنجارين، ثم شرع في بناء المدينة، واستغرق العمل فيها 3 سنوات، على مساحة قدرت ب 40 هكتار (قلائي وحنفي، 2024، ص ص 304-319)، وتشمل مدينة القلعة على ثلاثة أبواب: وهي باب الأقواس في الناحية الشمالية، وباب جراوة من الناحية الجنوبية الشرقية، وباب الجنان من الناحية الجنوبية الغربية، وكان هناك شارعا واحدا يربط بين باب الجنان وباب الأقواس (قلائي وحنفي، 2024، ص ص 304-319).

2-تاريخ الأبحاث الأثرية التي تعاقبت على قلعة بني حماد:

-حضيت آثار قلعة بني حماد بالاهتمام من قبل الباحثين منذ نهاية القرن 19م. وكان السباق في ذلك "بول بلانشي"، الذي أجرى عمليات حفر لمدة 08 أيام، كانت موضوع دراسة قدمها إلى أكاديمية العلوم والفنون الفرنسية سنة 1897م. ترك هذا البحث موضوعا حول القلعة وأثارها علق عليه صلادان بمنشوره في "أرشيفات جديدة للبعثات العلمية، " Nouvelles archives des missions scientifiques". كما ترك تقريراً عن أبحاثه في مجلة الجمعية الأثرية القسنطينية عدد سنة 1898 م

(la Qalaa des beni hammad, rapport de mission polono Algerienne 1987-1988, 1990,p 16).

- بعد خمس سنوات من أعمال "بول بلانشي"، قام مدير بلدية المعاضيد آنذاك ومراسل لجمعية الآثار بقسنطينة "روبار" Robert. الذي زار موقع القلعة وقرية تاحمامين بمنطقة المعاضيد، وكتب في ذلك تقريراً مرفقا بمخطط كروكي لموقع القلعة مع صور، وتم نشره في مجلة الجمعية عام 1903م (شنيقي، 2013، ص81).

-قام اللواء "دوبيلي" بمساعدة المستشرق "جورج مارسي" سنة 1908م، بسلسلة من التنقيبات لمدة 03 أشهر بمساعدة 80 عاملا، كشف خلالها على ثلاث وحدات رئيسية: برج المنار، قصر البحر، والمسجد الجامع. ومن هذه الأخيرة توقفت الأعمال إلى غاية سنة 1951م. قام دوبيلي بنشر نتائج حفرياته في كتاب جد قيم بعنوان: « la qalaa des beni hammad une capitale berbère de l’afrique du nord au 3ème siècle »

-استأنف "قولفان" أعمال التنقيب على عدة حملات: 1951، 1952، 1956، 1960، حتى سنة 1962م كشف خلالها قصر السلام وقسم كبير من قصر المنار وصهرج كبير و5 أقواس بالجهة الغربية من القصر نفسه، كما قام بدراسة وصفية لمخطط قصر البحر ووحداته وقام بنشر نتائج دراساته وأبحاثه في كتابين هامين وهما:

1-le magrìbe central a l’époque de zirides, recherche d’archéologie et d’histoire.

2-Recherche archéologique a la qalaa de bani hammad (De Beylie (L), 1909,p05)
-توقفت أعمال التنقيب لسنتين، ثم واصل رشيد بوروية أعمال التنقيب لمدة سبع سنوات، كشف فيها المسجد الجامع، والقسم الجنوبي لقصر البحر، والقسم الغربي والشمال لقصر المنار ونشرت أعماله في "نشرة الآثار الجزائرية" وفي كتابه "الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها" (بوروية، مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، أشيروقلعة بني حماد، 2013، ص203).

-قام خبراء منظمة اليونيسكو بتحضير برنامج لترميم آثار القلعة، تمخض عنه ترميم صومعة المسجد (شنيقي، 2013، ص82).

-آخر أعمال بحث عرفتها قلعة بني حماد تمثلت في البعثة المشتركة الجزائرية البولونية قامت بأعمال سبر وترميم سنتي 1987-1988م، تم خلالها القيام بدراسة معمقة للمسجد والكشف عن السور الداخلي الذي يفصل قبيلة جراوة عن باقي المدينة وعن حمام يقع شمال المسجد كما قامت ببعض التحاليل على عينات من مواد البناء المستعملة كالملاط وقد نشرت هذه الأبحاث في تقرير مكون من عدة أجزاء صدر سنة 1990 عنوانه:

« la Qalaa des beni hammad »(la Qalaa des beni hammad, rapport de mission polono Algerienne 1987-1988, 1990, p17)

3-أهم المنشآت المعمارية بقلعة بني حماد:

اهتم الحماديون بمجال العمارة والفن، ويظهر ذلك جليا في تخطيطهم للمدن والمنشآت المعمارية، فأولوا اهتماما كبيرا لتوفير شروط المدينة الإسلامية في تشييدهم لمدينتهم. كتمركز المدينة بموضع محصن طبيعيا، وتوفير المياه الصالحة للشرب، وتوفير العيون داخل الأسوار، وبالضبط بالجهات العلوية من المدينة، حتى يسهل بناء السواقي وإدخال المياه إلى المباني، والقرب من المرعى والاحتطاب وغيرها. (عويس، 1991، ص275)

خصص الحماديون أماكن للأسواق واهتموا بالبساتين المحيطة بالقصور والحدائق العامة. فضلا عن الجداول والأنهار التي كانت تخترق المدينة. كما خصصت أحياء للعائلات الأرستقراطية أي الطبقة الحاكمة وحاشيتها، وأحياء للجماليات الأجنبية والمسيحية واليهودية. (عويس، 1991، ص275) واشتملت مدينة القلعة على الفنادق والمساجد الضخمة، ودور العلم وأماكن الحفلات والمعارض وغيرها من المرافق. كما أبرزت التنقيبات والحفريات التي أجراها بول بلانشي (paul blanchet) وقولفان (golvin) والحفريات الأخرى مدى التقدم الذي أحرزه الحماديون في هذا الفن (بورووية، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، 1977، ص210)

اتخذ سور القلعة شكل رجل كبش لاتزال آثاره بارزة . امتد على حواف الهضبة التي بني عليها. فاتخذ شكلها متبعا للشط الغربي لوادي فرج من جهة الشرق، ثم يتجه شمالا إلى جبل تاقربوست، ثم ينحدر نحو جبل قرين، ثم يتجه نحو الشمال ويعبر واديا ويتبع شطه الشرقي (بورووية، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، 1977، ص202-203) . بني سور القلعة بالحجارة محيطه 7 كلم وسمكه 1.20 م الى 1.60 م فكان اللواء (De Bilier) دو بيلي هو من وضع مخطط المدينة والسور المحيط بها (De Beylie(L), 1909, p06).

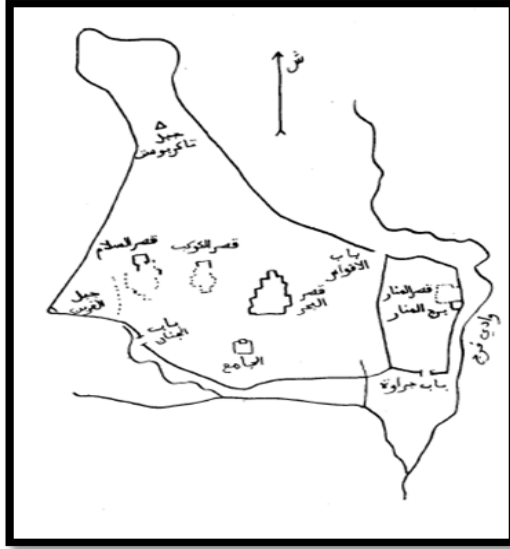
للمدينة ثلاث أبواب: باب الأقواس وباب الجنان وباب جراوة ولم يبق منها إلا باب الأقواس (بورووية، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، 1977، ص154). هذا الأخير أقام به رشيد بورووية حفريات ولم يجد أثرا للباب بقي مكانه وآثار السور على يمينه ويساره¹. كما تضم مسجدا جامعا ذو شكل مستطيل مساحته 63.20*53.20م، بقيت منه قواعد الجدران والدعائم

والمندنة له بيت صلاة ذات 13 أسكوب و8 بلاطات (بوروية، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، 1977، ص203). ويوجد بناء يحيط بالمحراب له خمس أساكيب و4 بلاطات (بوروية، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، 1977، ص210)، يرجح رشيد بوروية إلى أن هذا البناء ليس بمقصورة كما زعم صلادان (sladin)، و دو بيلي (De biylié)، وجورج مارسي (G. marcais). وإنما هو مسجد صغير بني داخل بيت الصلاة بعدما رحل بنو حماد إلى بجاية، وقل عدد سكان القلعة (rachid, 1973,p 28-29). للجامع صحن مستطيل ويتوسطه جب مسقف بعقد منكسر لم يبقى إلا جزء منه كما توجد به قاعة ربما استخدمت كمكتبة. تتوسط الجدار الشمالي للصحن المندنة، بنيت من الحجارة مربعة الشكل، ارتفاعها حوالي 24.70م. تتميز بتزيين واجهة واحدة وهي الجنوبية منها، بزخارف تنقسم إلى ثلاث لوحات قائمة فزين الجزء العلوي بالأجر والخزف ذي اللون الأبيض والأخضر (بوروية، مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، آشيروقلعة بني حماد، 2013، ص212).

إضافة إلى مسجد صغير بقصر المنار، طوله 1.80م وعرضه 1.70م، له محراب ذو شكل نصف دائري بالجدار الجنوبي له زخارف لأمثيل لها. والمحراب الوحيد الذي شبيهه موجود بقبة الصخرة بالقدس يرجع تاريخه إلى عبد الملك ابن مروان، ويعد أصغر مسجد بالعالم الإسلامي كله. وهو المسجد الجزائري الوحيد التابع لقصر يرجع تاريخه إلى القرون الوسطى له زخارف جصية كتابية ونباتية وهندسية. (بوروية، مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، آشيروقلعة بني حماد، 2013، ص220)

كما عثر الأثريون أثناء تنقيباتهم على عدة قصور بالقلعة: قصر المنار، قصر البحر، قصر السلام، قصر الكوكب. إلا أن موقع هذا الأخير لم تجرى فيه أي حفريات. (المخطط01، الصورة01)

المخطط 01: قلعة بني حماد ومنشآتها المعمارية.



عن: (بورويبة، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، 1977، ص204)

الصورة 01: مجسم للقلعة محفوظ بمتحف قلعة بني حماد ببلدية المعاضيد



المصدر: من تصوير الباحثة.

أ-قصر المنار:

يقع في القسم الشمالي من المدينة وفي المكان الأكثر علواً لحي جراوة. إذ أخذ اسمه من البرج المجاور له من الجهة الجنوبية، هذا البرج الذي يروى أنه كانت تعلوه مرآة تعمل للإشارة والتحذير بالخطر أو العدو . يشتمل القصر على ثلاث أبنية ملاصقة لبعضها البعض. للقصر صحن كما كسيت أرضيته بالبلاط الأبيض، وكسيت الجدران بالزخارف الجصية المتنوعة المواضيع (la Qalaa des beni hammad, rapport de mission polono Algerienne 1987-1988, 1990,p09).

ب-قصر السلام:

قام قولفان بالبحث عنه أثناء حفرياته بالقلعة سنة 1952م وبين 1962 و1960م. وللقصر قسمان علوي وسفلي، القسم العلوي منه له سور من الحجارة تتخلله بالأركان أبراج، بشكل ربع دائرة، له باب ناتئ وواجهة مزينة بمشكاوات مسطحة القعر، ومدخل بمشكاتين نصف دائريتين مثل قصر المنار. للقصر عدة قاعات. أما بالقسم السفلي لم تكتمل حفريته وقد عثر قولفان على صحن وغرف مختلفة الأشكال والقياسات (بوروبية، مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، آشيروقلعة بني حماد، 2013، ص121-122).

ج-قصر البحر:

سعي نسبة إلى الحوض الكبير الذي يقع في قسمه الجنوبي، ويتكون هذا القصر من مركب معماري يحتوي على عدة مجموعات بنائية. يعد من أكبر وأهم القصور الحمادية بالقلعة، الذي أصبح فيما بعد مثالا يحتدي به المعمارون في صقلية، وغرناطة، وغيرها. وكان يمثل مدينة سكنية أرستقراطية يقيم بها جهاز الحاكم (عويس، 1991، ص276). وقد أطلق عليه قصر الخلافة، وقصر الحكومة، أو دار الإمارة، ويرجح أن أطلق عليه كذلك قصر الملك، والقصر الكبير. ويضم في جهته الشرقية الحامية، ومكتب الحاجب، ودار العدل، ويوازها بنايات أخرى للاستقبالات الرسمية. وبداخل القصر بركة كبرى حتى أنه كانت تجوبها الزوارق ذهاباً وإياباً . كما يشتمل القصر على مباني الأمير والحريم (بوروبية، مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، آشيروقلعة بني حماد، 2013، ص113).

د-قصر الكوكب: يتواجد بين قصر البحر وقصر السلام. ولم تجرى عليه حفريات بعد، ويصعب معرفة شكل مخططاته. كما بنيت قصور أخرى من قبل الناصر بن علناس بالقرب من المدينة، منها قصر العروسين وقصر بلارة إلا أن هذه القصور لم يتم الكشف

عنها بعد -1987 (la Qalaa des beni hammad, rapport de mission polono Algerienne 1987-1988, 1990,p02).

4-التأثيرات المعمارية والزخرفية الحمادية على عمائر حوض البحر المتوسط:

اتخذت القلعة موقعا استراتيجيا هاما، ساعدها على تنمية اقتصاد الدولة وازدهار التجارة، فكانت للحماديين علاقات وطيدة مع مصر، والشام، والعراق، ومختلف بلدان المشرق. كذلك مع المغرب الأقصى والأندلس (بورويبة، مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، آشيروقلعة بني حماد، 2013، ص108) وبها تحل الرحال من مختلف البلدان خاصة بعد فتح القيروان من طرف بني هلال، إذ أن الذهاب إلى المشرق إلا ويستقر بالقلعة بضع أيام، ومن خلال النشاط الثقافي عن طريق تنقل العلماء والطلبة (أحمد، 2021، ص ص 136-160)، إضافة إلى تنوع الأجناس والقبائل التي استقرت بالمنطقة، من عرب ويهود وقبائل كجراوة وصنهاجة ومسوفة. حتى أنه معظم الشوارع تسمت باسم القبيلة التي تقطن بها (بورويبة، مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، آشيروقلعة بني حماد، 2013، ص108).

كل هذا كان له تأثير كبير على مجال العمارة والفن، إذ تأثرت عمارة القلعة بعمارة المشرق والمغرب، وأثرت في عمارة المغرب والأندلس ككل وهو ما يظهر جليا في مايلي:

تعد مئذنة المسجد الجامع بقلعة بني حماد أول مئذنة بالمغرب الأوسط بنيت بشكل مربع، واقتصرت الزخرفة على واجهة واحدة وهي الجنوبية منها، في حين انعدمت بالواجهات الأخرى واتخذت زخارفها ثلاث ألواح أو صفوف قائمة. فآثرت بذلك في المآذن الموحدية وخصوصا مئذنة إشبيلية، ومئذنة الكتبية بمراكش (بورويبة، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، 1977، ص213) كما يتوضع على الصف العلوي الأخير بمئذنة قلعة بني حماد زليج باللون الأخضر والأبيض، ويتكرر وجوده بنفس الموضع بمئذنة جامع الكتبية بمراكش (De Bylie(L), 1909,p67) وبما أن كل دولة أخذت عن سابقتها في مجال العمارة وأضافت لمستها الخاصة، فإن الدولة المرينية والزيانية فيما بعد تأثرت هي الأخرى بالعمارة الموحدية، إذ يظهر ذلك جليا في المآذن المرينية والزيانية بتلمسان، أين يحاط أعلى بدن المئذنة إضافة إلى الجوسق بقطع الزليج.(اللوحة 01)



منذنة جامع الكتبية



منذنة جامع قلعة بني حماد



منذنة اشبيليا

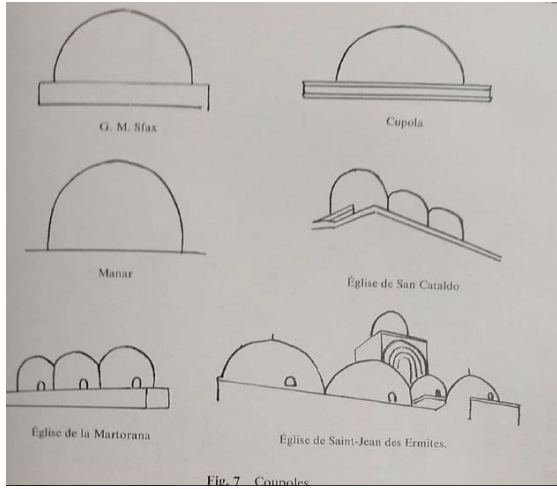
اللوحة 01: أوجه التشابه بين المآذن الثلاث. نقلا عن: google

كما يضيف رشيد بورويبة في دراسة له حول تأثير الفن الصنهاجي من المغرب على فن النورمان في صقلية. أن قلعة بني حماد أثرت بشكل كبير في عمائر النورمان بصقلية، في تصميم القصور ومواد البناء وطرق التدعيم والقباب وزخرفة المباني وتكسية الجدران، والمكانة الهامة التي تلعبها الحدائق ونافورات المياه في حياة نورمان صقلية وصنهاجة المغرب. (rachid B, s.d.p182)

أثرت قصور قلعة بني حماد في قصور النورمان بصقلية. فقصور القلعة لها أبواب أمامية وهي موروثة عن الفاطميين، غرفهم مربعة أو مستطيلة أو صليبية، وهو ما يتواجد في قصري كوبا ووزيريا بصقلية، وقصر البحر بالقلعة، اذ تتواجد غرف مربعة وتحتوي هذه الغرف على كوة مستطيلة أوسع من العمق، يبرز الجزء السفلي منها إلى الجدار الخارجي (rachid B.s.d, p183)

كما استخدم النورمان بصقلية القبة على نطاق واسع، فكان لابد من أن تعلوا أحد قصورهم، والذي سمي بكوبا (القبة). وفي حديقة قصر كوبا جناح يسمى كوبولا تعلوه قبة، كما تعلو القباب أيضا كنائس معينة في باليرمو ككنيسة "لامارتورانا" و"سان كاتالدو". ومما لاشك فيه أن القباب وجدت كذلك بقصر المنار بقلعة بني حماد (rachid B,s.d,p186.) (الصورة02).

الصورة 02: أنماط القباب بقصور القلعة وصقلية.



المصدر: (rachid B. l'influence..., p09)

كما اشتملت قصور القلعة على تنوءات بالجدران الخارجية لها بشكل نصف دائري (الصورة 03). وهو ما يظهر جليا في قصور صقلية السابقة الذكر، كما بنيت كل منها بالحجارة وهو ما نلتمسه بقصور القلعة أيضا (rachid B,s.d,p183.) استخدم الحماديون الزخرفة على الجص فكست معظم جدران قاعات القصور (قصر البحر، المنار، والسلام). وأسقفها في شتى المواضيع سواء الكتابية أو الهندسية أو النباتية، كما زينت القباب بالمقرنصات (الصورة 04) ، هذه الأخيرة تأثرت بعمائر المشرق وأثرت فيما بعد في عمائر النورمان بصقلية فوجدت بكثرة بقصور باليرمو، وقصر كوبا، وزيزا، وغيرها

(L.Golvin, 1958,p83) أثرت هذه الزخارف كذلك بقصور غرناطة والمساجد الموحدية والمرينية والزيرية.



الصورة 04: المقرنصات بمتحف قلعة بني حماد. من تصوير الباحثة.



الصورة 03: نتوءات جدران أحد قصور قلعة بني حماد. -من تصوير الباحثة.-

كما لا يفوتنا أن نتطرق إلى عنصر زخرفي هام، ظهر لأول مرة بمئذنة جامع قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط، يسمى العنصر الثعباني الملفوف، الذي يتوضع عند منبتي العقد، وتطور كذلك عند الموحدين إذ لا نجد مدخلا إلا وزين منبت عقده به، خاصة بباب الرواح بالرباط وباب الودايا، وباب قصبة أجتاو (اسماعيل، 1993، ص 128-129). واستعمله بكثرة فيما بعد المرينيين في عمارتهم فنجد به مدخل مسجد سيدي أبي مدين بتلمسان على مادة الزليج.

كذلك كانت للحمايين ابتكارات في مواد وطرق البناء، فاستعمل المعمار الحمادي الدبش بطريقة تختلف حجما ووضعاً عن نفس التقنية المعروفة لدى سابقهم، ففي سور القلعة كان يوضع الدبش بطريقة غير منتظمة، ويخلط بكمية من الملاط، ونفس الشيء بمئذنة وجدران المسجد الجامع، بنيت بالدبش، لكن رصف بطريقة تنظيمية حتى تبدو من بعيد وكأنها مبنية بقطع الحجر المهذبة، وفي أركان الواجهة الجنوبية للمئذنة، استعمل الدبش الطويل (الصورة 05)، وتكرر نفس العملية بقصر المنار (عبدالكريم، 2011، ص 88-98) كذلك هناك تقنية بناء الجدران المتوازية، وتعد من مظاهر التجديد في العمارة الحمادية، فترتب الأحجار المتقاربة في الحجم على شكل صفين متوازيين، وتترك نواتها فارغة لتملأ بالشظايا الحجرية والطابية، وهذه الطريقة قديمة تعود إلى العهد الروماني، إذ تحافظ الطبقة الوسطى على اعتدال المناخ صيفا وشتاء

الصورة 05: تقنية البناء بالدبش بمئذنة قلعة بني حماد.



المصدر: من تصوير الباحثة.

خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول بأن الحماديين حقيقة كانت لهم ابتكارات هامة في مجال العمارة والزخرفة وهذا ما يظهر جليا في تجسيد عمارة قلعة بني حماد من خلال:

-ابتكار الحماديين لمئذنة مربعة تتركز فيها الزخرفة بواجهة واحدة في ثلاث مستويات، كما تعد أول مئذنة تشتمل على الزليج بالمغرب الأوسط وأثرت بعمارتها وزخرفتها في عمارة مئذنة اشبيلية ومئذنة الكتبية بمراكش.

-أبدع الحماديون بابتكارهم لعنصر المقرنصات لأول مرة في المغرب الأوسط فكانوا السباقين في ذلك فغطت قباهم وزينت محاريب مساجدهم فأثروا بذلك في العمارة النورماندية في صقلية و مختلف العمائر الإسلامية بالمغرب والأندلس .

-استعملوا الزخرفة الجصية على نطاق واسع بشتى المواضيع النباتية والهندسية والكتابية ، كست الجدران والأسقف والمحاريب وهو مظهر جليا في محراب مسجد قصر المنار والذي لازالت بعض القطع الجصية منه محفوظة بمتحف

قلعة بني حماد ببلدية المعاضيد ولاية المسيلة، أثرت هذه الزخارف في زخارف العمائر المغرب الأوسط والأندلس في الفترات المرابطية والموحدية، المرينية والزيانية.

-استعملوا عنصرا زخرفيا لأول مرة وهو العنصر الثعбاني الملفوف، الذي يتوضع عند منبت العقود في المداخل والمحاريب تأثرا بزخارف المشرق وتأثيرا في عمائر المغرب والأندلس، فشاغ استخدامه بكثرة عند الموحدين ثم المرينيين.

-اعتمدوا طرق بناء خاصة كالبناء بالدبش أحيانا بترصيفه بشكل منتظم وأحيانا بوضعه بشكل عشوائي . كذلك تقنية البناء بشكل متوازي وملئ الفراغ بالوسط بالحجارة والطوب وغيرها وهو مايساهم في تلطيف الجو شتاء وصيفا.

-تعد العمارة الحمادية نموذجا أصيلا اقتدي به في بناء معظم العمائر بالمغرب الإسلامي، بالرغم من أن جل معالم القلعة لازالت تحت الانقراض ولا تزال في انتظار إبرازها إلى الوجود إلا أن الظاهر منها ساهم وبشكل فعال في إبراز التأثيرات المعمارية والزخرفية للقلعة على عمائر البحر الأبيض المتوسط.

قائمة المراجع:

رشيد بورويبة. (1977). الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

رشيد بورويبة. (2013). مدن مندثرة: تاهرت، سدراتة، أشيروقلعة بني حماد (الإصدار ط 2). الجزائر: بن مرابط للنشر.

سعودي أحمد. (2021). الحياة الاقتصادية والثقافية لقلعة بني حماد. مجلة هيروودوث للعلوم الانسانية والاجتماعية، 05(02)، 160-136.

عائشة رقية قلاتي، و عائشة حنفي. (2024). قلعة بني حماد من خلال النصوص التاريخية والبقايا الأثرية. مجلة الدراسات الأثرية، 22(1)، 319-304.

عبد الحليم عويس. (1991). دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري (الإصدار ط 2). القاهرة-مصر:- دار الصحوة للنشر والتوزيع.

عبيد الله البكري. (د.س). المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. القاهرة- مصر:- دار الكتاب الاسلامي.

عثمان عثمان اسماعيل. (1993). تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى عصر دولة الموحدين (الإصدار ط 1، المجلد ج3). المغرب: مطبعة المعارف الجديدة.

عزوق عبد الكريم. (2011). مواد وتقنيات البناء في العهد الحمادي. مجلة الدراسات الأثرية، 9(1)، 88-98.

محمد البشير شنيقي. (2013). علم الآثار تاريخه مناهجه مفرداته. عين مليلية- الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

(L), D. b. (1909). La Qalaa des beni hammad une capital berbère de l'afrique du nord au 3ème siècle. paris- france:- édition érnest leroux.

L.Golvin. (1958). Note sur quelques fragments de plâtre trouvée récemment a la qal'a des beni-hammad extrait de melanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman (éd. tome 2). alger: imprimerie officielle.

(1990). la Qalaa des beni hammad, rapport de mission polono Algerienne 1987-1988. yarsoivie.

rachid, b. (1973). l'art religieux musulman en Algerie. alger.

rachid, B. (s.d.). L'influence de l'art sanhadjien du maghrib sur l'art des normands de sicile actes du premier congrès d'étude des cultures méditerranéennes d'influence arabo berbère.